1152



خطاب صاحب الجلالة في وزراء الداخلية العرب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صاحب السمو الملكي

أصحاب المعالي

حضرات السادة

حقاً ان المغرب سعيد باحتضان مؤتمركم الذي انهيتموه اليوم، وحقاً ان المغرب فخور بالاجماع الذي توفقتم اليه، وفخور بالنتائج التي أحرزتموها، وقد تتبعنا أشغالكم وعلمنا من خلالها ان النقاشات كانت صريحة حتى أدت في بعض الأحيان الى الحدة، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الديمقراطية وروح الحرية التي سادت أيام مناظرتكم، كما يدل على حيوية الوفود وبالأخص رؤساء الوفود.

ومن بين المشاكل التي تطرقتم اليها، المشاكل الأمنية، وليس لي في هذا المضمار — بعدما توصلتم اليه وبعدما قمتم به من دراسات وتدارس — أن أزيد على ما قلتم واتفقتم عليه، الا انني أرى مشاركة في اعمالكم ان أعلق على بعض النقط الخاصة بالمشاكل الأمنية.

كما لا يخفى عليكم الأمن والصحة شيئان متشابهان، وكل منهما يحتاج الى العلاج والوقاية، فهناك نوعان من الأمن : الأمن الوقائي، وأمن العلاج، لن أطيل في أمن العلاج، لأن علاجه في القرآن وفي السنة النبوية. ففي القرآن «الفتنة أشد من القتل»، وفي الحديث «الفتنة نائمة، لعلن الله موقظها». ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان أول من أدرك في هذا العالم، أن للشغب مدارس، وان للتآمر الدولي مدارس، وان للتآمر العقائدي والديني مدارس، وستقف على أرض الاسلام وأرض العروبة للتخريب والتدمير، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «الفتنة نائمة، لعلن الله موقظها».

طيب، اذن كيف يمكن لوزراء الداخلية مباشرة وللحكومة في المرحلة التالية وللقيادات في المرحلة الأخيرة والأولى في آن واحد أن تسكن الفتنة حتى تتركها نائمة ما أمكن وكلما أمكن، وهنا تأتي الناحية الوقائية للأمن، والأمن الوقائي يحتاج الى مقومات وعناصر.

أولا — منها اعتزاز الرجل بانتسابه الى المجموعة الوطنية التي ينتسب اليها، فاذا لم يعتز الرجل أو المرأة بوطنيته وبمواطنيه فلن يكون حريصا ولن يكون حذراً ليقي بلده وتاريخها ومستقبلها من الشغب والفوضى.

والاعتزاز بالمواطنة وبالانتساب الى الوطن لا يتم الا عن طريقين :

الأولى : علينا أن نعلم أبناءنا التاريخ، وأقول هذا علماً مني أننا جميعاً نمثل مجموعة من الدول لها من التاريخ الحافل، ومن الأصالة المتينة المتمكنة ما يجعلها تضاهي الأمم والحضارات.

اذن، علينا ان نعلم أبناءنا وبناتنا التاريخ حتى يعلموا انهم ينتسبون الى بيت شريف عريق.

العنصر الثاني : هو الارتياح، ارتياح المواطن، وهذا الارتياح لا يمكن أن يتأتى الا اذا وقع التوازن بين ما تعطيه الدولة وما تطالب به، فإذا أعطت الدولة أكثر ما يمكن من الحقوق والحرية أصبحت البلاد تعوم وتخوض في الفوضى، ولكن اذا هي طلبت أو طالبت المواطن بواجبات من حريته ومن كرامته كشخص، ومن مشاركته في شؤون الدولة، واذا تغلب هذا الجانب، جانب الطلب والمطالبة على الارضاء والعطاء، وقعت في النفوس حسرة، ووقع هناك ضغط لا بد أن يولد الانفجار. اذن هناك توازن بين الأخذ والعطاء، بين الحق والواجب، وهذا التوازن ليس غريباً عنا ولسنا غرباء عنه، لأن كتاب الله سبحانه وتعالى يقول : «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً» وسطاً بين الأخذ والعطاء، وسطاً بين الأمر والنهي، وهناك فرق بين الأمر والنهي، يقول النبي صلى الله عليه وسلم من جهته «لا افراط ولا تفريط».

ويقول المثل العربي : الافراط أخو التفريط.

وهكذا نرى أن الأمن الوقائي، من عناصره الأساسية توازن المجتمع، واعتزاز الفرد بإنتمائه الى ذلك المجتمع، نعم نعيش اليوم في نظام عالمي للمعاملات، نعيش في نظام أصبحنا فيه ضحايا للتكنولوجيا والتقدم العلمي وسرعة المواصلات، اما بالطائرات واما بالسيارات، سرعة المواصلات السلكية واللاسلكية، وجود التلفزيون والبرامج التي تلتقط من الخارج، ووجود راديو «ترانزستور» الذي اعتبره أخطر بكثير من أي صاروخ نووي، لأنه يمكنه أن يدور حول الكرة الأرضية، وأن يصيب هدفه دون أن يعرف أي أحد من هو المستهدف وما هو الهدف؟ نعيش في نظام قررنا أن نعمم فيه التعليم، والتعليم اذا عمم يقتضي منا أن نكون منطقيين مع أنفسنا، ففي الأيام الأولى للبشرية كان القوي هو الذي يسيطر، وكانت الجماعة من أقوياء العضلات هي التي تسيطر، أما وقد قررنا أن نعمم التعليم ونجعله في متناول كل أحد، فيجب علينا مقابل ذلك أن نكون منطقيين مع أنفسنا وأن نغلب — في الحكم والتحكم — العقل والاقناع وليس العضلات، بل الأنظمة السليمة والتسامح في حدود القانون، والتغاضي في بعض الأحيان، كما قال الشاعر :

ليس الغبيُّ بسيد في قومه   لكنَّ سيدهم هو المتغابي

وكذا نأخذ الأمور بالاقناع ما دامت لا تنتهك حرمات الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب الا اذا انتُهكت حرمات الله.

نعم كل دولة منا لها نظام اختارته عن طواعية دون اكراه، فبالتالي لا يمكنها أن تتخلى أبدا عن الدفاع عن ذلك النظام الذي اختارته، ولكن ما عدا المس بالنظام، وكيان المقدسات والمعتقدات، وما يكوِّن الأصالة أعتقد شخصياً أن شيئاً ما من التغاضي أو شيئاً من الليونة لا بد منه في بعض الأحيان، مع ذلك هذا لا يمنع الصرامة، كما قال الشاعر :

وقسا ليزدجروا ومن يكُ راحماً   فليقسُ أحياناً على مَن يرحم

أحياناً وليس دائماً.



ستزيد على هذا العنصر، عنصر تغليب الاقناع والتفكير والفهم، نزيد عليه عنصر ما أسميه بالكرامة، الا وهو إشراك أكثر ما يمكن من المواطنين في تسيير أمورهم، وبالأخص في الناحية، إما ناحية العمالة أو الاقليم أو المنطقة، لأن أهل مكة أدرى بشعابها كما يقول المثل العربي، وأهل مراكش أدرى بمشاكلهم من أهل الرباط العاصمة، واهل صفاقس أدرى من تونس، وأهل بجاية أدرى من الجزائر، إلى غير ذلك . فاشراك الناس أولا يشغلهم في الأشغال المهمة، فلا يترك لهم الفراغ للمتاهات، ويزيدهم تكريماً واعتزازاً، لأن كل واحد منهم في أي مستوى يمكن أن يدخل إلى بيته في الليل، ويقول شاركت مباشرة اما بعلامة أو قرار أو رأي أعطيته في المجلس، شاركت اليوم في بناء قريتي أو اقليمي أو عمالتي.

بل هناك سؤال : هل ياترى اذا اجتمعت هذه العناصر كلها يمكن أن نقول اننا وصلنا الى الحالة الوقائية المثالية للأمن؟ أقول : لا. نحن الدول العربية مع الأسف السباقون للحضارة، والسابقون للبناء والتعمير، في بعض الأحيان نفتقر الى عنصر مهم جداً من عناصر الحضارة، ألا وهو التساكن والتسامح، لأن أنظمتنا لا تريد أن تتعايش مع النظام الذي هو مجاور لها، وذلك نقصاً من عنصر التساكن والتسامح، والحالة ان ما يجري على الأفراد يجري على الجماعات يقول النبي صلى الله عليه وسلم «ما زال جبريل يوصي بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وما هو صحيح في حق الجار في المدينة، صحيح في حق الجار على القارة، ومع الأسف — باستثناء أربع أو خمس دول — كلنا لنا مشاكل مع جيراننا، ومشكل الجار مع الجار هو من عناصر عدم الاستقرار والاطمئنان، لماذا؟ لعدم التساكن، وعدم التسامح، اذا اراد جاري ان يعيش في نظام فليعش فيه، ولكن ليتركني أعيش في نظامي، ولا يحاول أن يسيطر علي، ليبين لي الطريق الأمثل للوصول الى كذا وكذا، ولكن اذا اختارت الشعوب وجب احترام اختيارها.

فاذا نحن زدنا على المشاكل الدولية التي تحيط بنا، من انهاك وانعدام الأخلاق، ومن شغب مستمر، اذا نحن زدنا على بلداننا مشاكل عدم حسن الجوار، فسنسير في طريق انتحارية لن ينتفع بها الا عدونا، ذلك العدو الذي قرر أن يستلب منا أرضنا وعقيدتنا ومقدساتنا الدينية والقومية.

فلذا نحن الذين ضحينا من أجل قضيتنا الكبرى بالدم والعطاء والبذل ألا يمكننا ان نضحي لمدة وجيزة ولو نحصرها في زمن سنة أو سنتين مثلا في سبيل القضية المقدسة، لدينا قضية الأرض العربية المغتصبة، وقضية القدس الشريف، ألا يمكننا أن نضحي في سبيلها بشيء من حسن الجوار، وحسن التساكن؟ أعتقد أن السؤال يجب أن يطرح هكذا، لا بكيفية أخرى.

ولكنني شخصياً مطمئن لمستقبل الدول العربية، فقد شرفني إخواني برئاسة أولى جلسات مؤتمر القمة، المؤتمر كان يجب أن يعقد لمدة يومين فاذا به استمر مدة أربعة أيام.

وكما علمتم كانت المذاكرات حادة وصريحة، وكنت من المستفزين كرئيس حتى يفرغ كل واحد من الحاضرين ما في قلبه، فوقع ذلك فعلا، فشرفني اخواني الملوك والرؤساء والأمراء برئاسة تلك الجلسات، وقد خرجنا من هناك بصف ملتحم متحد، ثم بعد ذلك تشرفت ثانيا برئاسة اللجنة السبعية التي ذهبت الى واشنطن، كنا طيلة المدة التي نناقش فيها المشاكل بينا أو نتناقش مع مخاطبينا نحاول دائماً ان نتسم بروح التضامن وروح التعقل وروح الأمل، وقد بلغني عن اللجنة السبعية التي ترأسها شقيقي وأخي جلالة الملك حسين نفس الخبر ونفس الشيء، فعسى أن تكون هذه الروح — التي انبثقت من صميم إيماننا بقضيتنا — معكوسة على جميع

المستويات وفي جميع الوزارات من أي بلد منا كان، ومنعكسة كذلك على كل فرد من أفراد شعوبنا وأمتنا حتى نتمكن من أن نسترجع كرامتنا، وقد استرجعنا أمام العالم تعقلنا حينما خرجنا من فاس متضامنين متحدين.

ولكن العقل وحده لا يكفي، العقل يجب أن يصاحبه الاحترام، فعلينا أن نبقى محترمين بسلوكنا، بعضنا مع بعض، ولي اليقين أن روح التضامن التي سادتنا منعكسة على شعوبنا، ووزرائنا، وقادة الدول العربية، وما ذلك على الله سبحانه وتعالى بعزيز.

وفقنا الله جميعا لما فيه الخير، وأعانكم على سلوك طريق الخير والاطمئنان والاستمرار، والانطلاق المستمر في البناء والتعمير.

ولا أريد أن أختم كلمتي هذه دون أن أشكركم جميعاً على مشاعركم نحوي وكما جاءت على لسان صاحب السمو الملكي الأمير نايف، وان كان المغرب لم يقم الا بواجبه، فأنتم أهل البيت ونحن الضيوف ونحن النزلاء، أكرمكم الله وسدد خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش 29 صفر 1403 — 15 دجنبر 1982